التشكل الأسلوبي للمثل العربي السائر

"دراسة تحليلية بلاغية وأسلوبية"

The stylistic conformation of the Arab proverb
"An analytical rhetorical and stylistic study"

د.علي زواري أحمد *

تاريخ الإرسال: 2021/01/17	تاريخ القبول: 2021/05/06	تاريخ النشر: 2021/09/15

الملخص:

يهدف بحثنا لتحليل المثل العربي السائر والمتمثل في الأمثال الفصيحة التي قالتها العرب قبل مجيء الإسلام، وقد اعتمدنا فيها على أمثال الضبي التي تعتبر أقدم وثيقة وصلتنا في ذلك، والهدف هو دراستها لتجلية التشكل الأسلوبي لهذا النوع من الأمثال لاكتشاف أهم الإجراءات الأسلوبية، ومعرفة القيم الأسلوبية، ورصد أهم الأغراض البلاغية التي أنتجها التشكل الأسلوبي لهذا النوع من الأمثال،

الكلمات المفتاحية: المثل السائر؛ الإخباري؛ الإنشائي؛ الغرض؛ الإجراء الأسلوبي.

Abstract:

Our research aims to analyze the prevailing Arab proverb represented in the eloquent proverbs that the Arabs said before the advent of Islam, and we have relied in them on the proverbs of Dhbi, which are considered the oldest document we have reached in this, and the aim is to study them to demonstrate the stylistic formation of this type of proverbs to discover the most important stylistic procedures, and to know stylistic values And the most important rhetorical purposes produced by the stylistic formation of this type of proverbs.

***Key words**:the working proverb, informational, Structural, the purpose, Stylistic procedure, Stylistic value.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: د.علي زواري أحمد soufislam@gmail.com

* جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي soufislam@gmail.com

1.مقدمة:

الأمثال العربية كثيرة منها القديم ومنها الحديث، وهي صنوف وأنواع أشهرها وأكثرها شيوعا المثل السائر، وقد تعلقت الأمثال بنواحي مختلفة من حياة الإنسان العربي، حيث شكلت فنا مستقلا من فنون الأدب العربي، ولهذا لقيت اعتناء من قبل المؤلفين والدارسين - من القدامى والمحدثين - جمعا ودراسة وتحليلا وتصنيفا.

وفكرة مقالنا تندرج ضمن تلك الدراسات، فهي خلاصة لعصارة جهد على هامش دراستنا للأمثال القرآنية والعربية في أطروحتنا للدكتوراه، وقد وسمناه بعنوان: "التشكل الأسلوبي للمثل العربي السائر، دراسة تحليلية بلاغية وأسلوبية"، فهو دراسة للأساليب البلاغية المشكلة لبنية المثل السائر من خلال كتاب أمثال العرب للضبي، ويتخللها بيان الأغراض البلاغية المقصودة منها، مع تجلية بعض الإجراءات والقيم الأسلوبية في ذلك.

ولذا فإن إشكالية بحثنا تتعلق بالتنوع في أسلوب المثل السائر، وأهم الإجراءات الأسلوبية الحاصلة في بنية المثل بسبب هذا التنوع، وأهم الأغراض التي يرمي إليها المثل من خلال هذا التنوع.

ولمعالجة الموضوع فقد اتبعنا المنهج الوصفي المعتمد على آليتي التحليل والاستقراء الذين من خلالهما تمكننا من جمع وإحصاء المادة العلمية محل الدراسة ثم قمنا بتصنيفها قصد دراستها وتحليلها، وبهذا طرحنا الموضوع في ثلاثة عناصر رئيسية، هي:

- التعريف بالأمثال السائرة.
- تشكل الأسلوب الإخباري للمثل السائر.
- تشكل الأسلوب الإنشائي للمثل السائر.

ونبدأ الآن بمعالجة هذه العناصر الأول فالأول:

2.التعريف بالأمثال السائرة.

الأمثال العربية ثلاثة أنواع[1]، وهي: المثل القياسي، والمثل الخرافي، وثالثها المثل السائر الذي نخصه بالدراسة في بحثنا هذا، بحكم ما رسمناه من إشكالية انطلاقا من عنوان المقال، وهو كثير في كلام العرب نثرا ونظما، وأفضله ما كان موجزا. وهو المراد عند التعميم والإطلاق في ذكر الأمثال.

وسمّي بالسائر لفشوه وشيوعه، وكثرة تناقله وتداوله على ألسنة النّاس، ويسمى كذلك بالموجز نظرا لاختزال كلماته وقلة ألفاظه، فهو عبارة عن: "كلمة موجزة قيلت في مناسبة ما ثمّ تناقلتها الألسن جيلا إثر جيل"[2]. أو: «أنه القول السائر الموجز الذي يشتمل على معنى صائب، وتشبه فيه حالة مضربه بحالة مورده»[3]. كقولهم: السر أمانة، العِدة عطية، العَوْد أحمد، النساء حبائل الشيطان، الحرب غَشُوم.

وقد دونت الأمثال العربية القديم منها والحديث وبأنواعها الثلاثة، وكتب فيها الكثير، منها أمثال الضبي، والميداني، والأصمعي، وابن رفاعة الهاشمي، والعسكري والزمخشري، والجاحظ، والبوسي، والكلاعي،... وغيرهم، لكن اخترنا كتاب أمثال العرب للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت: نحو 168هـ) وقد حققه بعض العلماء منهم الدكتور إحسان عباس، وطبعته دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، وقد كانت الطبعة الأولى، سنة: 1401هـ = 1981م ، والثانية، سنة: 1403هـ = 1983م، وحوى الكتاب حاولي ثمانية وثمانين حكاية جمعت مائة وثمانين مثلا تقريبا. ولذا جعلناه عمدتنا لأنه أقدم كتاب في الأمثال العربية يتضمن أمثال العصر الجاهلي، يقول إحسان عباس في مقدمته على الكتاب: «تعد أمثال الضبي أقدم مجموعة وصلتنا من الأمثال، وهي لذلك أقدم صورة لدينا من المثل الجاهلي المقترن بالحكاية، ومن ثم كانت قيمة هذا الكتاب كبيرة، لأنه أصبح مصدراً لأكثر الكتب التي ألفت بعده في هذا الموضوع»[4].

3. تشكل الأسلوب الإخباري للمثل السائر.

نبدأ بالجمل الفعلية، ثم نتبعها بالجمل الاسمية، وبعدهما جملة الشرط، وهذا الترتيب والتقسيم لاعتبارات تتعلق بالمثل لا يتسع المقام لتفصيلها ها هنا:

1.3 . الجمل الفعلية

لقد تنوعت الأمثال السائرة بين الجمل الفعلية والاسمية، وهذا ينسجم تماما مع سيرورتها وبنيتها ودلالتها، لذا نجد مجموعة منها ورد جملة فعلية إخبارية خالية من المؤكدات، من ذلك[5]: تَسْمَعُ بالمُعْيِدِيّ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَرَاهُ. سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ. حَلِمَ الأدِيمُ. يَتَّبِعُونَه بأبْلَخٍ جَهُولٍ. أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ. رَمَتْنِي بِدَائِها وانْسَلَّتْ. تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنْ مائَةٍ غَلْوة... الخ.

فالجمل كلها الفعلية إخبارية - كما نرى - تفيد معنى الخبر، وقد وردت من غير مؤكدات، أي ابتدائية ألقيت لخالي الذهن، أو من ينزل منزلة خالي الذهن، فلا يحتاج إلى توكيد الخبر وإلا صار في الكلام حشوٌ، ومن هنا كانت الأمثال موجزة غاية الإيجاز، وبعيدة عن كل إطناب، ومع ذلك تتحقق منها الفائدة أو لازم الفائدة. قال أهل المعاني: «إذا ألقيت الجملة إلى من هو خالي الذهن استغني عن مؤكدات الحكم»[6].

ولهذا لا يؤكد العربي الفعل في هذه الحال، لأن المستمع يكون خالي الذهن من الخبر، غير متردد فيه، ولا منكر له مما ينفي الحاجة إلى توكيده، ومع ذلك أشبعت دلالاتها، وتعمقت في بنيتها، ولم تبق مجرد أخبار أو حدث معين، بل تعدت دلالتها زمنها وأصحابها، فأصبحت حِكَما ونصائح وإرشادات وتوجيهات، لا تقف عند المتكلم الأول.

وبعض الجمل الفعلية الأخرى جاء طلبيا بمؤكد واحد أو اثنين، وتنوعت فيه المؤكدات كما هو ظاهر في بداية مجموعة منها، وهذا النوع من الأخبار يلقى لمن يعرف الخبر وعنده علم مسبق به لكنه متردد فيه – وقد يكون المتكلم نفسه - فيطلب تأكيده ليصدقه، ويذهب عنه ذلك التردد، وبالتالي يعيد المتلقي النظر في معنى الخبر من جديد، وقد يخرج أحيانا عن أصله ولا يأت على مقتضى الظاهر لغرض بلاغي ما، فينزل خالي الذهن منزلة المتردد، أو حتى المنكر، ولكنه في المثل السائر قليل لجانب الأصل، وهو خروجه على مقتضى الظاهر، كما نلحظه في الأمثال التالية[7]: قَدْ أَنْصَفَ القَارَةَ مَنْ رَامَاهَا. قَدْ جِئْتُ بِمَا صَأَى وَصَمَتَ. فنرى في هذه الأمثال أنها بدأت بالتوكيد بلفظ "قد" التي جاءت قبل الفعل الماضي، فتفيد التوكيد والتحقيق، ففي كلا المثلين الأمر محقق سواء الإنصاف أو المجيء أو قريبا التحقق. كما أنها تؤكد الحكم الوارد في المثل وتضاعف الدلالة وتقويها كما هو واضح في هذه الأمثلة.

ونفس الشيء في هذا المثل: أضَرِطاً آخِرَ الْيَوْمِ وَقَدْ زَالَ الظُّهْرُ[8]. إلا أن الجملة الفعلية المؤكدة بـ(قد) لم تكن في صدارة المثل، ولكنها متضمنة فيه، وهذا التحقيق يكون في أغلب الأحيان. وقد تخرج (قد) في بعض الأحايين فتفيد التوقع، وخاصة عندما تأتي مع المضارع، ولذلك تستعمل في الأشياء المترقبة، كما في المثل: قَدْ نَرَاكَ فَلَسْتَ بِشَيء[9]. فهو في المستقبل المرتقب، ويفيد التكثير، بمعنى متوقع كثرة الرؤية. وأيضا كما في قوله: قَدْ يَضْرَطُ العَيْرُ وَالمِكْوَاةُ فِي النَّارِ[10]. فهنا متوقع الضَرَطُ من المريض حين توضع عليه النار أثناء الكيّ،

وفي هذا المثل بيّان لشدة الفزع التي قد تصيب الشخص فتؤدي به لما هو متوقع. وعليه فالمثل في أصله «يضْرب مثلا للبخيل يعْطى على الْخَوْف»[11].

كما أنه معلوم أن المؤكد (قد)، إن دخل على المضارع أَفاد تقليل وقوعه، أو بمعنى: تفيد الظن والشك، كما في المثل الآتي: قَدْ تُخْرِجُ الخَمْرُ مِنْ الضَّنِينِ[12]. فهنا أيضا خروج الشيء من البخيل قليل الوقوع، ومع ذلك قد يقع لسبب ما، لذا يراد به التقليل - هنا - تناسبا مع حال البخيل الذي يغلب عليه عدم العطاء، يقول أبو هلال العسكري: «يضْرب مثلا للرجل يعْطى عِنْد السكر وَعند الْمَدْح وَغَيره مِمَّا يعرض لَهُ من سَبَب يسهل عَلَيْهِ مَعَه الْإِعْطَاء وَأَصله»[13].

كما أننا نرى (قد) جاءت في المثل وقد دخلت على حرف النفي (لا) كما في المثل: قَدْ لَا يُقَادُ بِي الجَمَلُ[14]. فنلحظ المؤكد (قد) مع (لا) النافية (لا يقاد)، وفي هذه الحالة يكون الفعل الذي تدخل عليه (قد) محذوفا، ويقدر تقديرا، لأن الفعل المضارع الذي تدخل عليه قد يشترط فيه أن يكون مجردا من الناصب والجازم والسين وسوف[15]، وعليه نقدره كالتالي: "قد صرت لَا يُقَاد بى الْجمل"[16]. أو: "قد كنت لا يقاد بي الجمل"[17] ونحوه. أي إن رأيتني اليوم ضعيفا، فقد كنت قويّا، وقائله سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان قد أسنّ حتّى لا يطيق ضبط بعير إذا أدركه حتّى يقاد به[18].

وإن كان علماء اللغة لا يجيزون دخول قد على اللام النافية، إلا أن المثل ورد بها وهو من الفصيح؛ ولا بد حينها من إجازة دخولها، أو حمل الأمر على ما ذكرنا، وعليه حمل بعض أصحاب الأمثال هذا المثل على هذا المعنى، كما نرى من صنيع الميداني في مجمع الأمثال حين ذكره بهذه الصيغة: "لَقَدْ كُنْتُ وَمَا يُقَادُ بِي البَعِير"[19]، وفي هذا الإجراء الأسلوبي بحذف فعل (قد) يكون لتأكيد النفي، فالنفي في ذاته تأكيد، وزاد تأكيده بـ (قد).

ومن المؤكدات نون التوكيد الثقيلة، في المثل: بِسِلاَحٍ مَّا يُقْتَلَنَّ القَتِيلُ[20]. أصلها: يقتلنّ القتيل بسلاح ما. فقد ورد الفعل المضارع مؤكدا بنون التوكيد الثقيلة. وكما نرى في بعضها ورود أكثر من مؤكد، من ذلك: حَنَّتْ وَلَا تَهِنَّتْ وَأَنِّي لَكَ مَقْرُوع[21]. فنلحظ (لَا) النافية مع (أَنِّ). وقولهم: لاَ رَأْيَ لِمَكْذُوبِ[22]. لام النافية مع اللام.

كما نلحظ أن بعضها ورد بأكثر من مؤكدين، وهو ما يسميه علماء البلاغة بالإنكاري، وذلك أن السامع ينكره، فيحتاج المتكلم لتعزيز كلامه بأكثر من مؤكد ليسمعه

المتلقي ويصدقه، ومن ذلك ما نجده في الأمثال السائرة التالية[23]: أَمَا وَاللهِ لَتَجِدَنَّهُ أَلْوَى بَعِيْدَ المُسْتَمَرِّ. وَاللهِ لَا أَرْعَاهَا سِنَّ الحِسْلِ. فنلحظ القسم (والله) واللام ونون التوكيد الثقيلة في المضارع (لَتَجِدَنَّهُ والقسم (والله) ولام التأكيد النافية (لا أرعاها)).

ولم يتوقف الأمر عند هذا النوع من التوكيد في الجمل الفعلية؛ بل هناك صيغ أخرى، والتي منها التوكيد بأسلوب القصر، كقولهم : إِنَّمَا يَعِيشُ الرَجُلُ بأصْغَرَيْهِ[24]. (إِنَّمَا) فيه (إِنَّ) وهي للتوكيد (الإثبات) و(ما) للنفي، التي يعتبرها النحاة كافة ومكفوفة، وهذا الأسلوب يفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة.

ومنها التوكيد بالسجع وهو في الأمثال كثير، وفي ذات الوقت هو وسيلة غير تقليدية في التوكيد، كما في[25]: أُعْطَي العَبْد كُرَاعًا فَطَلَبَ ذِرَاعاً. عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً. مَنْ عَزَّ بَزَّ.

وهناك جمل فعليه وقع فيها التأكيد بالتقديم والتأخير، فتقدمت شبه الجملة عن الفعل والفاعل، من ذلك: الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ[26]. فيها حذف لحرف الجر وتقديم لشبه الجملة، أصلها كما في مجمع الأمثال: فِي الصَّيفِ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ[27]. وتقديرها: ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ فِي الصَّيفِ. ومثلها[28]: رُوَيْداً يَعْلُونَ الجَدَدَ. وأصلها: يَعْلُونَ الجَدَدَ رُوَيْداً. ولأَمْرٍ مَّا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ. أصلها: جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ لأَمْرٍ مَّا. وعَلَى أَهْلِهاَ تَجْنِي بَرَاقشُ. وأصلها: تَجْنِي بَرَاقشُ عَلَى أَهْلِهاَ. وفِي النَّوَى يَكْذِبُكَ الصَّادِقُ. أصلها: يَكْذِبُكَ الصَّادِقُ فِي النَّوَى.

2.3. الجمل الاسمية

أما إذا جئنا للجمل الاسمية فنرى مجموعة منها ورد من غير مؤكد، سوى ما تحمله الجملة الاسمية من مؤكد في ذاتها، من تلك الجمل[29]: هَذَا ومَذْقُةٌ خَيرٌ. الْعَاشِيَةُ تُهَيِّجُ الآبِيَّةَ. الْفِرَارُ بِقِرَابٍ أَكْيَسُ. عَوْفٌ يَرْتَأُ فِي الْبَيْتِ. سَاَعِدَايَ أَحْرَزُ. يَدَاكَ أو كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ. مَالِي بَيْنَ بَنِيَّ... الخ.

فنراها جميعا جاءت جملا اسمية إخبارية خالية من المؤكدات، ومكتفية باسمية الجملة، وفي بعضها زادت على تأكيد اسمية الجملة بتوكيدات معنوية؛ كالتقديم – مثلا - الذي يحمل مؤكدا معنويا، بغرض التنبيه والاهتمام، كما في الأمثلة التالية[30]: فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ. وأصلها: بَنُو سَعْدٍ فِي كُلِّ وَادٍ. والأَبْلَقُ الْعَقُوقُ. على تقدير مبتدأ محذوف نقدره بالضمير: هو (بمعنى الوفاء) الأبلق العقوق. وشَوَلاَنُ البَرُوقِ. على تقدير مبتدأ محذوف: هو شولان البروق. وماءٌ وَلَا كَالصَدِيدِ. وتقديره: هذا أو هو ماء جيد وليس في الجودة مثل

الصديد، حذف المبتدأ في سياق العطف. ومَرْعًىً وَلاَ كَالسَّعْدَانِ. ونقدره باسم الاشارة: هذا، أو بالضمير: هو مرعى جيد وليس في الجودة مثل السعدان. ولِي الغَادِرَةُ والمُتَغَادِرَةُ والأفِيلُ النَادِرَةُ. وأصلها: الغَادِرَةُ والمُتَغَادِرَةُ والأفِيلُ النَادِرَةُ لِي. وهَيْنٌ لَيْنٌ وَأودَتِ العَيْنُ. وتقديره: هي أو هو هيّن ليّن وأودت العين. وكَالطَاحِنَة. وتقديره: هو أو هي مثل الطاحنة. وأَعَزُّ مِنْ كُلَيْبٍ وَائِلٍ. فقد حذف المبتدأ قبل صيغة "أفعل" وتقديره: هُوَ أَعَزُّ مِنْ كُلَيْبٍ وَائِلٍ. وقد وردت هذه الصيغة (أفعل) في أمثلة كثيرة، كلها المبتدأ فيها محذوفا ويقدر تقديرا[31].

وبعض الأمثال أكدت بـ(رب) التي تعتبر زائدة ولا محل لها من الإعراب، مثل قولهم[32]: رُبَّ عجلةٍ تهبُ ريثاً. ورُبَّ فَرُوقَة يُدْعَى لَيْثاً. ورُبَّ غَيْثٍ لَمْ يَكُنْ غَيْثاً. كما نرى التوكيد بلفظ الشمول (كل) في قولهم: كلُّ ذاتِ صِدَارٍ خَالَةٌ لِي[33]. فنلحظ التوكيد بلفظ الشمول في (كل)، فقد أفادت الشمول، ولو حذفت من المثل لم يفهم منه الشمول، وفائدته رفع ما يتوهم من عدم الشمول، وهذا من التوكيد المعنوي.

وهناك من الأمثال ما ورد طلبيا بمؤكد أو مؤكدين، من ذلك: وَأَهْلُ عَمْرٍو قَدْ أَضَلُّوه[34]. نرى التأكيد بـ(قد) وإن لم يكن في بداية المثل. ونجد كذلك مثلا واحدا من بين الأمثال السائرة، جاء مؤكدا بأداة واحدة هي أداة التنبيه (أَلَا) في قولهم: أَلَا مَنْ كانَ غازِياً فَلْيَغْزُ[35]. فنلحظ الأداة (ألا) في بداية المثل، وهي ترد للتنبيه في فاتحة الكلام، وتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية.

ونجد بعض الأمثلة جاءت مؤكدة بالأداة (إنَّ) في قولهم[36]: إنَّ المُعَافَى غَيْرُ مَخْدُوعٍ. إنَّ اللَّيْلَ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مُقْمِر. وفي هذا المثل يعلم المتلقي أن الليل طويل، ولكنه نزل منزلة من يطلب الخبر، وهو ما يسمى بلازم الفائدة. وبالتالي نرى في هذه الأخبار التي جاءت جملا اسمية مؤكدة بـ(إنّ) وهي من أشهر المؤكدات وأكثرها ورودا.

ومن الأمثال ما أُكِدَت بـ(إنّ) مع زيادة مؤكد آخر، مثل قولهم: إنَّ الحَدِيثَ لَذُو شُجُون[37]. اسمية مؤكدة بـ(إنّ) و(اللام) في (لذو) واسمية الجملة. إنَّ التَجْرِيدَ لِغَيْرِ نِكَاحٍ مثلةٌ[38]. مؤكدة بـ(إنّ) و(اللام) في (لغير). إنّي آكُلُ لَحْمِي وَلَا أَدَعهُ لِآكِلٍ[39] مؤكدة بـ(إنّ) و(لا) النافية. واتصال المؤكد (إنّ) بضمير المتكلم يقوي الكلام عند المتلقي، لأن الملقي واثق مما يلقيه وعازم على فعله، وقد يكون – أيضا - داعي التوكيد هو رغبة المتكلم في تقوية مضمون الكلام عند المخاطب، وتقريره في نفسه، وفي هذا تأكيد معنوي للكلام.

ومثلها الأمثال الآتية[40]: إِنِّي سَأَكْفِيكَ مَا كَانَ قَوْلًا. نراه أولا مؤكدة بـ(إنّ) ثمّ بالسين في قوله: (سأكفيك) مع (ما) النافية، وهذا النوع من الإخبار إنكاري، يُساق لمن هو منكر، أو متردد في صدق الخبر. وقولهم: وإِنَّهَا لَا يُشَقُّ غُبَارُهَا. مؤكدة بـ(إنّ) و(لا) النافية. مع اتصال (إنّ) بضمير الغائب الذي يوحي ويؤكد دلالة عامة لا تختص بحضور متلق بعينه. وقولهم: إِنَّكَ لَا تَرْكِضُ مَرْكِضاً. مؤكدة بـ(إنّ) و(لا) النافية. مع التأكيد بالمفعول المطلق (مركضاً). واتصال إن بضمير المخاطب يوحي بتحديد دلالة محددة بعين المخاطب، وإلى كل من يمكن أن يتلقى المثل، وبهذا يملك المثل حضوره الدائم وعدم قصوره على فئة بعينها أو حدث بذاته. وقولهم: كَأَنَّ بِرَحْلٍ باتَتْ. مؤكدة بـ(الكاف) و(أنّ) مع زيادة الباء في (برجل). وقولهم: لكنَّ بالأثَلاَث لحماً لا يُظَلَّل. مؤكدة بـ(لكنَّ) و(الباء) في قوله (بالأثلاث)، مع (لا) النافية (لا يظلل).

وهذا النوع من التوكيد أبرز غاياته هو تثبيت المعنى في النفس، فيؤدي لتقوية العبارة، ويجعلها ملائمة لحال النفس حسب قبولها ورفضها، فتكون بعد ذلك لها قابلية الاقتناع والتأثر. فهذه العملية التي يتوخى منها حالات القبول والإذعان عند المتلقي، بدل حالات الشك والإنكار، تتطلب من المبدع الكثير من الحيطة والدقة في إجراء التوكيد، وابتغائه أسلوبا، وهذا ما نلحظه في المثل لما فيه من قوة الإبلاغ ما جعل التوكيد فيه يصور هذا الأصل النفسي الدقيق في بنائه الأسلوبي. فهناك ضروب من التوكيد لا ينظر فيها إلى حال المخاطب فقط وإنّما ينظر فيها المتكلم إلى حال نفسه في ذاته، ومدى انفعاله بهذه الحقائق التي يؤكدها، وحرصه على إذاعتها، وتقريرها في النفوس كما أحسها مقررة أكيدة في نفسه، وهذا اللون له جماليته كما نراها في هذه الأمثال.

ونختم الجمل الاسمية وما اعتراها من مؤكدات في هذا النوع من الأمثال، بالتكرار اللفظي الذي نلحظه في المثل: بَخٍ بَخٍ سَاقٌ بِخَلْخَالٍ[41]. هذا هو المثل الوحيد في أمثال الضبي، ونلحظ التوكيد الفظي في تكرار لفظ (بَخٍ بَخٍ)، وبخ: اسم فعل مضارع، يقال عند المدح والرضا بالشيء، ويكرر للمبالغة، فإن وصلت كسرت ونونت. والغرض من هذا «التوكيد اللفظي تقرير المؤكد لدى من يوجه له الكلام، وتمكينه في نفسه، وإزالة ما لديه من شبه حوله»[42].

فمن خلال كل هذا ندرك أن التوكيد لا يقوم على مجرد ورود مؤكد، أو تكرار لفظة معينة في المثل، وإنما على ما يتركه المُؤَكِد، من أثر انفعالي في نفس المتلقي، بإيقاظ وعيّه واستنفاره من جراء التنبيهات والتأكيدات التي تنبعث من خلاله، فكلّ توكيد يكرس مفاهيم معينة، ويحمل في طياته إيحاءات نفسية وانفعالية متباينة، تفرضها طبيعة السياق والبنية التركيبية، وطريقة الأسلوب فيه، والغرض الداعي له، ولو لم يكن كذلك؛ لكان التوكيد زيادة لا فائدة منها، وليس له أية قيمة أسلوبية، لأنه حينها يعتبر حشوا زائدا لا يؤدي معنى أو وظيفة في المثل.

3.3. جملة الشرط

وأما فيما يتعلق بالشرط، فلحظ أن هذا النوع من الإجراء الأسلوبي تنزع إليه الأمثال العربية، وعندما نقوم بعملية استقراء للأمثال السائرة عند الضبي نجد فيها العديد من الأمثال صيغت على صيغة الشرط، وبأدوات شرطية مختلفة، وهذا ما يستدعي الوقوف عندها، وأول ما نقف عنده، قولهم: أيْنَمَا أُوَجِّهْ أَلْقَ سَعْداً[43]. نلحظ المثل جاء جملة خبرية شرطية – وهذا هو المثل الوحيد الذي جاء بهذه الصيغة - والشرط يتمثل في (أَيْنَمَا)، فـ(أَيْنَ) اسم شرط جازم، و(ما) حرف زائد إعراباً مؤكد للمعنى، وهي كافة ومكفوفة، وبالتالي يصير «أَيْنَما» اسم شرط غير جازم ظرف مكان متعلق بما بعده. و(ألق) جواب الشرط، والغرض منه بيان عدم الجدوى.

وهناك ما جاء بأداة الشرط (لو)، من ذلك قولهم[44]: لَوْ خَيَّرَكِ القَوْمُ لَاخْتَرْتِ. ولَوْ نُهِيَ عَن الأُولَى لَمْ يَعُد لِلآخِرَةِ. ولَوْ كُنْتِ مِنَّا حذَوْناكِ. ففي المثل الأول نجد (لو) للتعليق بالماضي ومعناه على الاستقبال، ولكن عندما جاء الفعلان (فعل الشرط وجوابه) بصيغة الماضي، أصبح الأمر المستقبل بمثابة الأمر الماضي، ويراد منه نفي الشيء في الماضي، وفي المثل نفي التخيير؛ بمعنى أن القوم لم يخيروك حتى تلوميني لماذا جئت أنا دون إخوتي؟!.

وفي المثل الثاني نجد (لو) للتعليق بالماضي كذلك، وقد ورد فعلها مبني للمجهول (نُهِيَ)، وجاء الفعل الثاني بصيغة المضارع (يَعُد)، والغرض من هذا التغاير بين الفعلين في الشرط هو تصوير ما كان سيحدث للشيء الذي وقع وحدث لو تحقق فعل جملة الشرط، وهو وقوع النهي، وبما أن النهي لم يقع فقد حصل ما حصل، وهو عوده للآخرة، فناسب مجيء الفعل المضارع في جواب الشرط للإشعار بأنه أمر من أمور المستقبل المتحققة

الوقوع، وهو بنفس قوة ما وقع وتحقق فعلا. أي كما أنه لم ينه عن الأولى فعاد للآخرة، كذلك لو نهي في الأولى لما عاد للآخرة.

وعندما نقف مع المثل الثالث؛ نلحظ أداة الشرط (لو)، وجملة الشرط (كنت)، وجواب الشرط (حذوناك)، وقد جاء للتعليق بالماضي – أيضا - ومعناه على الاستقبال، وكأن الأمر الذي سيحصل في الاستقبال هو ذاته وقع في الماضي، من خلال حكاية المثل نجد هذا ما تمناه مرّة بن ذُهْل لِرِجْلِهِ عندما رآها قطعت، فقال: «لَوْ كنْتِ مِنّا حذَوْنَاكِ»، أي: «لو كنت صحيحة جعلنا لك حِذَاء»[45].

فالمثل يأتي في سياق قصة قطعت فيها رجل أحدهم لإصابتها بالأكلة، ويقصد بالمثل في معناه المباشر، قول أحدهم مخاطبا قدما مريضة قطعت: لو كنت صحيحة جعلنا لك حذاء، ويضرب لمن أُهمل إكرامه لخصلة سوء تكون فيه. إلا أن المعنى المجازي للمثل هو التسويغ وإعطاء المبررات للامتناع عن فعل ما عندما تنقض شروط الإقدام عليه، فضلا عمّا يمكن أن يشي به المثل من الحسرة والألم على صور متعددة من الفقدان، أو بما يمكن للمرء أن يعانيه من ظواهر ومواقف تنقصها بعض لوازمها، ولكنه لا يتدخل فيها ولا يكمل نقصانها، لعدم ارتباطها به أو غياب العلّة الكافية لتدخله.

ونجد في مثل آخر جواب الشرط للأداة (لو) محذوفا، وهذا في قولهم: أَشْبَهَ شَرْجٌ شَرْجًا لَوْ أَنَّ أُسَيْمِرًا[46]. فهي جملة شرطية إخبارية مؤكد بـ(إنَّ) وحُذِفَ منها جواب الشرط، لأنه دلّ عليه ما قبله، وتقديره: لو أن أسيمرا موجود لأشبه شرج شرجا. ففي حذف الجواب يظهر مدى التأثير الحاصل على المتلقي وإثارته، بحيث لو ذكر الجواب لم يكن بنفس العظمة عنده، ولا بنفس منزلة الحذف، فالحذف يذهب السامع كل مذهب، ويتركه لا يعول على نفسه في تحديد المعنى المراد، مثل ما يكون في إيراد اللفظ بذاته، وفي هذا تنبيه لاختبار المتلقي، لأن نفس السامع تتسع في الظن والحساب، وكل معلوم فهو هين لكونه محصورا، لكن غير المحصور يحدث المفاجأة عند المتلقي ويكثف الدلالة عنده، فيلجأ للبحث وراء الدافع الموجب لهذا النمط من التركيب، بإعمال الفكر وتنشيط العقل والخيال.

ونجد في مثل آخر أن الشرط جاء بأداة (إنْ)، وهذا في قولهم: إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لاَ يَبْغِ عَلَيْكَ القَمَرُ[47]. وتستعمل إن الشرطية في المعاني المحتملة الوقوع، والمشكوك في

حصولها، والموهومة والنادرة، فإذا استقرينا المعنى الذي جاء به المثل، نجد أنّه معنى مشكوك في وقوعه، أي أنّه محتمل الوقوع، فيكون وقوعه على جهة الشك والاحتمال، لا القطع اليقين، ومع ذلك وإن كان المعنى محتمل الوقوع فهو غير دائم.

وحكاية المثل تبين أن توقع البغي من قوم الرجل أمر محتمل مشكوك فيه، يقول الضبي: «كان الناس يتبايعون على طلوع الشمس وغروب القمر من صبح ثلاث عشرة ليلة تخلو من الشهر: أتطلع بعد غروب القمر أم قبله، فتتابع رجلان على ذلك، فقال أحدهما: تطلع قبل غروب القمر، وقال آخر: يغيب القمر قل طلوع الشمس، فكأن قوم اللذين تبايعا ضلعوا مع الذي قال إن القمر يغرب قبل طلوع الشمس، فقال الآخر: يا قوم إنكم تبغون علي، فقال له قائل: إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر»[48]. أي: إن ظلمك قومُك – وهذا أمر مشكوك فيه ومتوقع الحصول- فلا يظلمك القمر، فانظر إليه يتبين لك الأمر والحق، لذلك فالمثل: «يضرب مثلا للرجل يدعي تلبيسا في الأمر المشهور»[49].

ونجد في بعض الأمثال مجيء الشرط بأداة (مَنْ)، وهذا في قولهم: حَرَامَهُ يَرْكَبُ مَنْ لاَ حَلاَلَ لَهُ[50]. المثل فيه تقديم وتأخير، وأصله: مَنْ لاَ حَلاَلَ لَهُ يَرْكَبُ حَرَامَهُ. وإنّما قدم معمول جواب الشرط على أداة الشرط؛ لأنه جاء جملة مضارعة مرفوع (يَرْكَبُ)، وتسمية المذكور جوابا تساهل لوحظ فيه الأصل، وهي حالة من حالات تقديم معمول جوابها وتأخير الأداة[51]. فالمثل إذا جاء بجملة شرطية إخبارية، وقد دخل الشرط (مَنْ) على الجملة (لاَ حَلاَلَ لَهُ) لربط الحكم فيها ربطا شرطيا بحكم آخر في الجملة الأخرى(يَرْكَبُ حَرَامَهُ)، فتكون الجملتان بمثابة جملة واحدة، وبهذا تسمى جملة شرطية. وعليه نلاحظ في الجملة الشرطية أن الشرط فيها قيد للحكم في الجملة التي هي جواب الشرط، ففي قوله: «مَنْ لاَ حَلاَلَ لَهُ يَرْكَبُ حَرَامَهُ» نلاحظ أنَّ تحقق عدم وجود المركوب الحلال في الجملة الأولى قد جعل في الكلام شرطا لتحقق ركوب الحرام في الجملة الثانية، والأداة الرابطة بين الجملتين هنا كلمة (مَنْ) الشرطية. ونفس الشيء مع الأمثال التالية[52]: مَنْ عَزَّ بَزَّ. وأَلَا مَنْ كانَ غازِياً فَلْيَغْزُ. ومَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ.

ونجد في بعض الأمثال مجيء الشرط بأداة (إذا)، وهذا في قولهم[53]: إِذَا رُمْتَ الْبَاطِلَ أَنْجَحَ بِكَ. وإِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنْ. كناية عن صفة، وهي المسايرة، «والمعنى: إذا أشتد أخوك وتصعب، فلن أنت»[54]. أي إذا تقوى فكن هينا معه وأخضع له تسلم من شره. فـ(إذا)

شرطية تكون للأشياء المقطوعة، أو للكثيرة الوقوع، التي لا يشك في وقوعها، فمثلاً هذا المثل يراد منه مسايرة الآخر بلين ويسر وإن كان عسير المعاشرة، وهو معنى يكاد يقترب من الفضائل والأخلاق الحميدة، التي يتصف بها الإنسان، ولاشك إن مثل هذه المعاني ليس من الصحيح أن يخبر عنها بأسلوب مبني على الشك والاحتمال، بل لا بد من ترغيبها للآخرين، ليتقبلوا العمل به في عالم الواقع والضمير، فجاء الإخبار عنها بتركيب مثلي اعتمد على معنى القطع والتيقن بحصولها، تأكيدا على ضرورة العمل به كونه من المعاني الايجابية التي تشيع المودة والإخاء بين الآخرين.

4. تشكل الأسلوب الإنشائي للمثل السائر.

المثل السائر ورد فيه جميع أنماط الإنشاء؛ من الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، ولكن قبل تفصيلها نشير إلى أنه ورد كذلك مثلان يدخلان ضمن الإنشاء غير الطلبي، ونحن لم نخصص بحثنا في الأسلوب الإنشائي لهذا النوع من الطلب، لأن أكثر صيغه في الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء، وإنما خصصناه للإنشاء الطلبي؛ بحكم أنه المقصود بالبحث والدراسة عند علماء المعاني، والمثلان هما[55]: يا حَبَّذَا التراثُ لولا الذَّلَّة. ويا حَبَّذَا المُنتَعِلون قِياماً. فـ(يا) في الجملتين حرف تنبيه أو أداة نداء لمنادى محذوف تقديره (قومُ)، و(حَبَّ): فعل ماض، (ذا): اسم إشارة في محل رفع فاعل لـ (حبَّ)، والجملة كلها خبر مقدم، و(التراثُ، المُنتَعِلون) مبتدأ مؤخر، وعليه فهما من الإنشاء غير الطلبي، الذي لا يستدعي مطلوبا، إلا أنه ينشىء أمرا مرغوبا في إنشائه، ويدخلان ضمن نوع من أنواعه، وهو: إنشاء المدح والذم. والآن ندخل في أنماط الإنشاء ونبدأ بـ:

1.4. الأمر

لقد ورد الأمر في أمثلة عديدة، وقد كان له الحظ الأوفر في الأسلوب الإنشائي، كما ورد بأنماط مختلفة، منها ما بدأ بالأمر الصريح، وبعده جملة استئنافية من ذلك[56]: لِجْ ومَالِ ولَجْتَ الرَّجْمَ. وفَانْجُ وَلَا أَظُنُّكَ ناجِيًّا. مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ. ففي الأول نجد الأمر في لفظ (لِجْ) والجملة المستأنفة في (ولَجْتَ الرَّجْمَ). وفي المثل الثاني نجد الأمر في لفظ (فَانْجُ) والجملة المستأنفة في (وَلَا أَظُنُّكَ ناجِيًّا). وفي المثل الثاني نجد الأمر في لفظ (فَأَسْجِحْ) والجملة المستأنفة في (مَلَكْتَ). والأمر في الحالة الأولى جاء على حقيقته من طلب تحقيق شيء ما، وهو تحقيق الدخول، وفي الثانية والثالثة خرج عن دلالته الحقيقية إلى غرض

آخر، ففي الحالة الثانية يراد منه الإرشاد بطلب الفرار قصد النجاة، وفي الثالثة خرج إلى دلالة الالتماس بطلب الصفح والعفو.

وفي مثل جاء الأمر باللام، وهذا في قولهم: بِمِثْلِ جَارِيَة فَلْتَزْنِ الزَّانِيَة سِرًّا أَو عَلَانِيَةً[57]. فأصل المثل: فَلْتَزْنِ الزَّانِيَة بِمِثْلِ جَارِيَة سِرًّا أَو عَلَانِيَةً. فاللام في (فلتزن) للأمر، والفاء تسمى بالفصيحة لأنها أفصحت عن الأمر، كما أنها أفصحت عن المحذوفات قبلها، أي إن استمرت في زناها وإن أصرّ على فعله فلتزن بمثل جارية، وهو جارية بن سليط أفرشته امرأة نفسها افتنانا بجماله فلامتها أمها ثمّ لما رأته قالت ذلك، يضرب فيما يلام فيه مباشرة للجهل به ثم يعذر إذا وقف على كيفيته[58]، واللام لام الأمر وتزن فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة الجزم حذف الياء والفاعل مستتر تقديره هي.

وبعض الأمثال بدأت بالأمر الصريح، واكتفت بجملة الأمر، من ذلك قولهم[59]: تَحَلَّلْ غَيْلُ. اتَّقِ مَأْثُورَ القَوْلِ بَعْدَ الْيَوْم. أَصْبِحْ لَيْلُ. خُذْ منْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ. فالأمر في هذه الأمثال تمثل في: (تَحَلَّلْ، اتَّقِ، أَصْبِحْ، خُذْ). ففي المثل الأول خرج الأمر عن دلالته إلى التهكم والإهانة، وفي الثاني والرابع إلى الإرشاد، وفي الثالث إلى الاستبطاء.

وبعض الأمثال بدأت بالأمر الصريح، ثمّ اشتملت على جواب الأمر، من ذلك[60]:

الْبَسْ لكلّ حَالَةٍ لَبُوسَها ... إِمَّا نعيمَهَا وإما بُوسَهَا. اُسْقِ أخَاكَ النَّمَرِيَّ يَصْطَبِح. عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً. فالأمر في هذه الأمثال تمثل في: (الْبَسْ، اُسْقِ، عِشْ). وجواب الأمر في (إِمَّا نعيمَهَا وإما بُوسَهَا، يَصْطَبِح، تَرَ عَجَباً). ففي المثل الأول خرج الأمر عن دلالته إلى الإرشاد، وفي الحالة الثانية على حقيقته في طلب السقي، وفي الحالة الثالثة إلى التعجيب.

2.4. النهي

وفي النهي لم يرد - من الأمثال السائرة في مدونة الضبي - إلا مثل واحد، هو قولهم: لاَ تُرَاهِنْ عَلَى الصَّعْبَةِ وَلاَ تَنْشِدِ القَرِيضاً[61]. الصعبة هي الدَّابَّة والناقة التي لم ترض[62]، فلا تغامر فتسابق عليها، والقريض الشعر[63]، فلا تنشده. والمثل وصية للحطيئة حين حضره الموت، وطلب منه الحضور أن يوصي، والغرض منه التحذير[64] من الشيء الذي يُخاف منه[65]. بمعنى: «لا تبالغ في الخطر إذا خاطرت، فربّما غلبت، ولا تثق كلّ الثّقة فتخلف»[66].

3.4 . الاستفهام

الاستفهام كذلك من الإجراءات الأسلوبية الإنشائية في الأمثال، وتسهم في عملية التواصل بين الملقي والمتلقي، ولها تأثيراتها التي تتيح للمتلقي التوسع في استنتاج الدلالة، كما تتيح للملقي التوسع في استغلال الإمكانات المتاحة في الاستفهام بين الأصل والخروج عليه، وعندما نرجع للمثل السائر من خلال كتاب الضبي، نلحظ أن بعض الأمثال تصدرت بالاستفهام، والبعض الآخر وإن كان قليلا فقد تضمنه داخل البنية التركيبية للمثل، ومنها ما نراه تأخر عن الصدارة مع أن حقه الصدارة عندما نُرْجِع المثل لأصله، كما نرى التنوع في أدوات الاستفهام بين (الهمزة، وهل، وكيف، وما)، ومنها ما تلاه الاسم ومنها ما تلاه الفعل، وفي بعضها يكون المثل ثنائي التركيب؛ بحيث يرتكز أحدهما على الآخر مع اكتمال الدلالة، وفي بعضها تركيب واحد، وهكذا تنوع الاستفهام في المثل السائر.

فما جاء من الأمثال بالهمزة، قولهم[67]: أَسَعْدٌ أَمْ سُعَيْدٌ. أَعَرْكَتَيْنِ بالضَفِير. أَضُراطاً وأَنتَ الْأَعْلَى. أَضَرَطا آخِرَ الْيَوْم وَقَدْ زَالَ الظَّهْر. ففي المثل الأول خرج الاستفهام على حقيقته بغرض الاستخبار عن الأمرين أيهما وقع[68]. وفي الثاني بغرض الإنكار، وفي الثالث التعجب، كما يمكن أن يكون للتهكم والسخرية، وفي الرابع التهويل والتخويف.

وما جاء من الأمثال بـ(هل)، قولهم[69]: يَا مُعاوِيَ بن سِنانِ هَلْ أوفَيْتَ. تِلْكَ بِتْلْكَ فَهَلْ جَزَيْتُكَ. هَل تَعدونَ الْحِيلَة إِلَى نَفْسِي. ففي المثل الأول لم يتصدر الاستفهام المثل، وتقدم عليه النداء، وذلك لأن الاستفهام لا يراد منه الحقيقة؛ بل خرج على أصله بغرض الاستنجاد، لذا قُدِم المنادى لأنه هو المقصود. ومثله المثل الثاني لم يتصدر الاستفهام المثل، وتقدم عليه اسم الإشارة، وذلك لأن الاستفهام لا يراد منه الحقيقة؛ بل خرج على أصله بغرض التقرير، وعندما ننظر في المثل الثالث نجد الاستفهام قد تصدر المثل، وخرج عن أصله بغرض الإنكار.

وما جاء من الأمثال بـ(كيف)، قولهم: كيْفَ أُعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأَسِكَ[70]. المثل انقسم على شطرين، الأول يحمل الاستفهام، (كيف أعاودك) والشطر الثاني، (وهذا أثر فأسك)، بغرض الاستغراب والإنكار، لأن المثل «يضرب لمن لا يَفِي بالعهد»[71].

وما جاء من الأمثال بـ(ما)، قولهم: في نَظْمِ سَيْفِكَ ما تَرَى يَا لُقْمُ!؟[72]. وأصلها: يَا لُقْمُ ما تَرَى في نَظْمِ سَيْفِكَ!. أو: ما تَرَى يَا لُقْمُ في نَظْمِ سَيْفِكَ؟. فإن أريد النداء قُدِمَت الأولى،

وإن كان المراد الاستفهام قُدِمَت الثانية، ونرى في المثل أن الاستفهام قد تأخر، لأنه لا يراد منه الجواب؛ بل يراد منه التعجب والاستغراب.

4.4 . النداء

لم يرد فيه الكثير من الأمثال، وإن كان أكثر من النهي والتمني، وقد جاء بعضه مذكور في أداة النداء، وبعضه الآخر محذوفة منه، فأما ما ذكر فيه النداء، ففي قولهم[73]: يَا مُعاوِيَ بن سِنانِ هَلْ أوفَيْتَ. ويَا ضُلَّ ما تُجْرِى بِهِ العَصَا. وفي نَظْمِ سَيْفِكَ ما تَرَى يَا لُقْمُ. ويَا بُوْيْن مَا أَكْيَسَنِي. ففي المثل الأول نرى أن فيه شطر ثان يتمثل في جملة الاستفهام (هَلْ أوفَيْتَ)، بها يكتمل به معنى المثل في المحاورة، التي غرضها الاستغاثة والاستنجاد. وفي المثل الثاني نلحظ بأن المنادى في قوله "يا" محذوف، والتقدير: يا قوم ضُلَّ[74]. ومثله ما جاء في المثلين[75]: يا حَبَّذَا التراثُ لولا الذَّلَّة. يا حَبَّذَا المُنتَعِلون قِياماً. فالمنادى في كليهما محذوف على تقدير (يا قوم). وعلى كل حال فالمثل كما يرى أبو هلال العسكري يضْرب مثلا للْجدّ[76]، ويرى الزمخشري أنه يضْرب في توقع الشَّرّ[77]، وعلى ما ذهب إليه ومن خلال حكاية المثل فإن الغرض من النداء؛ التعجب والتفجع، وعليه فمعنى المثل: يا قوم ما أضَلَّ - أي ما أهْلَكَ - ما تجرى به العصا، يريد هلاَك جَذِيمة[78].

وفي المثل الثالث خرج النداء عن أصل ذلك، فكان الغرض منه التعجب، لأن في حالة التعجب أو اليأس وانقطاع الرجاء وفي التأسف؛ يستعمل النداء برفع الصوت تلقائيا تعبيرا عما في النفس من حالة التعجب المثيرة أو حالة التأسف اليائسة. وفي المثل الرابع كان الغرض منه إظهار المكر والدهاء والكياسة.

وفي بعضها لا نرى أداة النداء، فبقي المنادى وحذفت الأداة، كما في الأمثال التالية[79]: أَصْبِحْ لَيْلُ. فنلحظ في هذا المثل أنه قد حذفت ياء النداء من النكرة المقصودة، وأصله: أصبح يا ليل. وقولهم: بِيَدِي لَا بِيَدَيْكَ عَمْرو. وأصله: بيدي لا بيديك يا عمرو وقولهم: اقْلِبْ قَلاَبِ. وأصله: اقلب يا اقلّاب. فحذف أداة النداء له دلالة في النفس، وهي أن المنادى أقرب منازل القرب من المنادي، حتى لم يحتج إلى ذكر أداة نداء له لشدة قربه، وعلى العموم فالنداء خرج عن أصله، فلا طلب فيه لإجابة النداء، أو استثارة المنادى ودفعه للاستجابة والانفعال مع النداء، ولكن يحمل النداء شحنات نفسية لدى المتلقي تعكس انفعالاته ووجدانه ومشاعره.

وهذا الخروج المنبعث من الحالة النفسية للمتكلم نجده في المثل التالي: يا حَبَّذَا التراثُ لولا الذلَّة[80]. فهذا النداء لا يتطلب إجابة بقدر ما يحمل شحنات نفسية تنم عن مدى التحسر والتوتر والاستنكار الداخلي، والشيء نفسه في قوله: يا حَبَّذَا المُنتَعِلون قِياماً[81]. فيه من التشكي والحزن والخيبة والتعب والعتب؛ وفي كلا المثلين دخل حرف النداء على صيغة (حَبَّذَا) وبالتالي خرج عن أصله.

5.4. التمني

في قولهم: ذُلٌّ لَوْ أَجِدُ نَاصِراً[82]. ففي المثل نرى استعمال حرف (لو) في التمني، وذلك لإبراز الشيء المتمنى في صورة الممكن؛ وهي حالة نفسية داخلية يأمل في تحقيقها، لئلا يعيش في اليأس الكامل، إلا أنه أمر عزيز المنال يصعب تحقيقه، ولكن لدى صاحب التمني بعض أمل، رغم ضعف الاستجابة، لأن حرف (لو) يشعر بعزة الأمر المرجو.

5. خاتمة:

وفي خاتمة البحث نعطي ملخصا يجمل أهم ما جاء فيه، حيث تمّت دراسة أسلوب المثل العربي السائر، وقد قُسِّم البحث إلى ثلاثة عناصر، أولها التعريف بالمثل السائر، وثانيها دراسة الأسلوب الإخباري للمثل، وثالثها دراسة الأسلوب الإنشائي للمثل، وقد تمحورت دراسة الأسلوب الإخباري على أهم العناصر التي يمكن أن تحظى بالعناية والاهتمام، فتناولنا فيه دراسة الجملة الفعلية ثمّ الجملة الاسمية وما يتعلق بها من مؤكدات، ثمّ تم التطرق لجملة الشرط، وأما في الأسلوب الإنشائي فقد تمّ التعرض للإنشاء الطلبي المتمثل في الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني.

وأما ما توصلنا إليه من نتائج من خلال هذه الدراسة، فنجملها فيما يلي:

- الأسلوب الإخباري طغى على المثل السائر، وقد ورد بجمل كثيرة فعلية وأخرى اسمية خالية من المؤكدات، ومنها ما ورد بالمؤكدات، وتنوعت فيه أنواع التأكيد من مؤكد لأكثر، وبأدوات التأكيد المختلفة: قد، لا، أن، إن، اللام، القسم، نون التوكيد الثقيلة والخفيفة، إنما، ما، ألا، والسين، كل، والنفي والشرط، والتوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي، وهذا ينسجم تماما مع سيرورتها وبنيتها ودلالتها وتنوع أغراضها،

- كما أنه وقع تقديم وتأخير وحذف في العديد من الجمل الإخبارية، وبعضها بدأ بالزوائد التي لا محل لها من الإعراب كـ(رب)، وقد كان للشرط حضوره المعتبر في الأمثال السائرة، ما يجعلهما ظاهرة أسلوبية تحتاج لوقفة متميزة ومستقلة عن باقي الأنواع.

- أما الأسلوب الإنشائي فهو أقلّ ورودا من الأسلوب الإخباري في المثل السائر، وقد ورد فيه جميع أنماط الإنشاء؛ من الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، وبعضها أكثر ورودا من بعض، فأكثرها الأمر، ويليه الاستفهام، ثمّ بعدهما النداء، وأقلها النهي والتمني، وفي أغلب أنماطها قد خرجت عن أصلها لأغراض أخرى، كالإنكار، والتعب، والتعجيب، والاستغراب، والتحذير، والتهويل، والتخويف، والاستنجاد، والتقرير، والإرشاد، والتهكم، والالتماس، والاستخبار، والتوبيخ والتبكيت... .

- معظم الصيغ الأسلوبية المثلية المختلفة، التي رأيناها في المثل السائر تقف وراءها أسباب ودوافع نفسية واجتماعية وثقافية تابعة لبيئات لغوية مختلفة، طبعت المثل العربي بطابع أسلوبي يختلف باختلاف طبيعة العلاقات والتحولات الدلالية الناجمة عن التغير في طبيعة هذه العلاقات.

- النص المثلي يعتبر نشاطاً لغوياً وحركة ثقافية لسانية للبيئات السائدة يومها، ويمكن التعرف من خلالها على سمات هذه البيئات، بغض النظر عن كون هذه النشاطات، قد مثلت النشاط الفردي أو الجماعي للمجتمع العربي؛ إذ الكثير من الصيغ يبتدعها الفرد، ثم يرضاها المجتمع فتشيع بين الناس، وتدخل في نطاق الاستعمال،

6. الهوامش:

1 - ينظر – علي زواري أحمد: المثل في الخطاب القرآني واللسان العربي الفصيح "مقاربة في البنية والأسلوب"، أطروحة قدمتها لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي، تخصص البلاغة والأسلوبية، تحت إشراف، أ.د: أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، السنة الجامعية: 2019/2018. ص: 17.

2 - محمد توفيق، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت(د.ط)، ص: 46.

3 - عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية، دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى - 1988، ص: 28.

4 - المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت: نحو 168هـ): أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة 2، 1403هـ = 1983م، ص:1.

5 - ينظر - الضبي: أمثال العرب، ص: 35. و ص: 48. ص: 60. ص:61. ص: 68. ص: 76 . ص: 85.

6 - بدر الدين حسن بن عليّ المرادي (ت: 749هـ): الجنى الداني في حروف المعاني، المحقق: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: 1، 1413 هـ - 1992 م، ص: 130.

7 - ينظر- الضبي: أمثال العرب، ص: 127. و ص: 146.

8 - ينظر المرجع نفسه، ص: 159.

9 - ينظر المرجع نفسه، ص: 125.

10 - ينظر المرجع نفسه، ص: 165.

11 - أبو هلال العسكري(ت: نحو 395هـ): جمهرة الأمثال، دار الفكر – بيروت(د.ط).2/ 123.

12 - ينظر - الضبي: أمثال العرب، ص: 173.

13 - أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 2/ 128.

14 - ينظر- الضبي: أمثال العرب، ص: 75.

15 - الغلاييني مصطفى بن محمد سليم (ت: 1364هـ): جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة: 28، 1414 هـ - 1993م، 3/ 265.

16 - أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 2/ 118.

17 - الضبي: أمثال العرب، ص: 75.

18 - ينظر- الهاشمي، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير (ت: بعد 400هـ): الأمثال، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: 1، 1423 هـ ،1/ 178.

19 - الميداني(ت: 518هـ): مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان(د.ط)، 2/ 180.

20 - الضبي: أمثال العرب، ص: 151.

21 - المرجع نفسه، ص: 79.

22 - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

23 - ينظر- المرجع نفسه، ص: 61. وص:75.

24 - المرجع نفسه، ص: 55.

25 - المرجع نفسه، ص: 149. ص: 140. ص: 124.

26 - المرجع نفسه، ص: 51.

27 - الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 68.

28 - المرجع السابق، ص: 86. ص: 146. ص: 151. ص: 163. ص: 51.

29 - المرجع نفسه، ص 51. ص: 63. ص : 66 . ص: 70. ص: 75. ص: 117. ص : 141 .

30 - المرجع نفسه، ص : 50. ص : 66 . ص : 73. ص : 127. ص : 155. ص : 172. ص : 173. ص : 129.

31 - المرجع نفسه، ص: 58. ص: 109. ص: 130. ص: 134. ص: 135. ص: 146. ص: 172.

32 - المرجع نفسه، ص: 138 .

33 - المرجع نفسه، ص : 127 .

34 - المرجع نفسه، ص: 78 .

35 - المرجع نفسه، ص : 153 .

36 - المرجع نفسه، ص: 49 . ص : 62 .

37 - المرجع نفسه، ص : 47 .

38 - المرجع نفسه، ص: 128 .

39 - المرجع نفسه، ص : 65 .

40 - المرجع نفسه، ص: 85. ص:145. ص: 110.

41 - المرجع نفسه، ص: 128.

42 - حبنكة الميداني(ت: 1425ه): البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: 1، 1416ه - 1996م ، 2/ 109.

43 - المرجع السابق، ص: 50.

44 - المرجع نفسه، ص: 39. ص: 118. ص: 129.

45 - الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 175.

46 - الضبي: أمثال العرب، ص: 154.

47 - المرجع نفسه، ص: 124.

48 - المرجع نفسه، ص: 124.

49 - أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 1/ 34.

50 - المرجع السابق، ص: 71.

51 - ينظر – عباس حسن (ت: 1398ه): النحو الوافي، دار المعارف، الطبعة: 15 ، 1/ 410.

52 - الضبي: أمثال العرب، ص: 124. ص: 153. ص: 166.

53 - المرجع نفسه، ص: 118. ص: 137.

54 - اليوسي(ت: 1102ه): زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق : د محمد حجي، د محمد الأخضر، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة: 1 ، 1401ه - 1981م ،1/ 73.

55 - الضبي: أمثال العرب، ص: 111. ص: 118.

56 - المرجع نفسه، ص: 57. ص: 79. ص : 118.

57 - المرجع نفسه، ص: 70.

58 - ينظر - الزمخشري(ت: 538ه): المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: 2، 1987م ، 2/ 15.

59 - الضبي: أمثال العرب، ص: 80 . ص : 96 . ص : 123. ص: 126.

60 - الضبي: أمثال العرب، ص: 111. ص: 139. ص: 140.

61 - المرجع نفسه، ص: 141.

62 - الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، 2/ 254.

63 - ابن فارس(ت: 395ه): مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة 2 - 1406ه - 1986م ص: 748.

64 - الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 223. و أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 2/ 405.

65 - ينظر- الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، 2/ 254.
66 - الهاشمي: الأمثال، 1/ 280.
67 - الضبي: أمثال العرب، ص: 47. ص: 56. ص: 62. ص: 159.
68 - ينظر- الميداني: مجمع الأمثال، 1/ 329.
69 - المرجع السابق، ص: 59. ص: 77. ص: 114.
70 - المرجع نفسه، ص: 178.
71 - الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 146.
72 - الضبي: أمثال العرب، ص : 155.
73 - المرجع نفسه، ص: 59. ص : 155. ص: 145. ص : 171.
74 - ينظر – الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 411.
75 - الضبي: أمثال العرب، ص: 111. ص : 118.
76 - ينظر – أبي هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 2/ 428.
77 - ينظر – الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، 2/ 406.
78 - ينظر – الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 412.
79 - الضبي: أمثال العرب، ص : 123. ص : 147. ص : 168.
80 - المرجع نفسه، ص : 111.
81 - المرجع نفسه، ص : 118.
82 - المرجع نفسه، ص: 118.